دراسات أرثوذكسية

الأيقونات -١-

أيقونة

الأنبا أنطونيوس

وكيف نقرؤها

القمص أنطونيوس حنين

Saint-Mary.net

Orthodox Studies

Icons - 1

Understanding

The Icon of

Saint Anthony the Great

Father Antonious L. Henein

ابسط أيقونة الأنبا أنطونيوس المطوية في أول النص الإنجليزي أثناء قراءة الكتاب.

مقدمة

موضوع هذا الكتيب هو أيقونة القديس العظيم الأنبا أنطونيوس، التي كتبها للكنيسة الدكتور إيزاك فانوس يوسف أستاذ الفن القبطي بمعهد الدراسات القبطية بالقاهرة، والموجودة على باب الخورس البحري بكنيسة القديسة العذراء مريم بلوس أنجيلوس.

ولهذه الأيقونة وهذا الكتيب قصة، فقد اتصل بي الدكتور فنسنت ويمبوش الأستاذ بمعهد يونيون اللاهوتي بجامعة كولومبيا بنيويورك يطلب مني أيقونة قبطية تصلح لتستخدم كشعار لمؤتمر عالمي ينظمه المعهد في المدة بين ٢٥-٢٩ أبريل ١٩٩٣ وموضوعه «البعد الزهدي فى الحياة والثقافة الدينية». وقد أرسلت له صورا فوتوغرافية لمجموعة من الأيقونات لبعض قديسي الكنيسة القبطية الأرثوذكسية النساك ومنها صورة هذه الأيقونة. وقد وقع اختياره عليها لتكون شعارا للمؤتمر فقد كانت بلا شك أروعهم.

ولما حضرت هذا المؤتمر، آلمني وأحزنني أن أكتشف أن كثيرا من الحاضرين، وجميعهم من أساتذة اللاهوت بجامعات كثيرة في العالم، لا

يفهمون كيف يقرأون الأيقونة ليكتشفوا ما فيها من تعاليم ومفاهيم ومعان. وأن بعضهم يسئ قراءتها فيستنتج منها أفكارا هي تماما عكس ما تقوله الأيقونة. ولما عدت الى لوس أنجيلوس تكلمت مع بعض أعضاء الكنيسة فإذا بي أتبين أن الكثيرين حتى من الأقباط الأرثوذكس لا يعرفون الكثير عن المعاني الكثيرة المخزونة في هذه الأيقونة. ولعل كل ما يأخذونه منها هو جمالها الفني الرائع، مع أنها قادرة أن تعطي لمن يتعامل معها ما هو أكثر جدا من هذا. ولعل السبب في ذلك هو أن الأيقونولوجي لغة لا بد أن يتعلمها الإنسان أولا حتى يستطيع بعد ذلك أن يفهم ما يكتبه الفنان في الأيقونات المختلفة.

هذا الكتيب هو محاولة لقراءة هذه الأيقونة الرائعة، وتفهم معانيها الروحية والعقائدية والإنجيلية، وهكذا يصبح أيضا محاولة نحو التدرب على قراءة الأيقونات قراءة سليمة، فلا تصبح الأيقونة مجرد قطعة فنية جميلة فقط، بل أيضا وسيلة كنسية لإدراك نواح لاهوتية تقدمها الكنيسة للعابد ليعبد الله بالروح والحق من خلال الأيقونة.

نطلب من الله ببركة وشفاعة القديسة مريم العذراء والعظيم في القديسين الأنبا أنطونيوس أب جميع الرهبان أن يكون هذا الكتيب نافعا لكل من يقرؤه.

* * *

أشكر جميع من تعبوا وساعدوني لإخراج هذا الكتاب سواء

بتحصيل مادته، أو بترجمتها وكتابتها، أو بمراجعته، أو بإعداده للطباعة وطباعته، أو بأي طريقة أخرى. المسيح يعرفهم جميعا ويباركهم ويعوضهم أجرا سماويا.

القمص أنطونيوس حنين

كاهن كنيسة العذراء مريم بلوس أنجيلوس

عيد حلول الروح القدس ١٩٩٣م.

الأيقونات

مبادئ ومفاهيم عامة

الأيقونة: هل ترسم أم تكتب؟

لقد جرت العادة على استخدام تعبير «تكتب الأيقونة» وليس «ترسم الأيقونة» لتأكيد فكرة هامة تتعلق بالأيقونة، وهي أنها تعبير عن أفكار معينة تتعلق بموضوعها. فالخطوط والألوان تتشابك لتعبر عن هذه الأفكار في الأيقونة تماما كما تتشابك الحروف في لغة ما لتعبر عن أفكار معينة في كتاب ما.

وكما أن الكتاب يصبح غير ذي قيمة لو لم يكن له موضوع معين، مهما كانت أشكال الحروف المستخدمة فيه جميلة ومتناسقة، هكذا تصير الأيقونة غير ذات قيمة، أو بالأصح لا تصبح أيقونة كنسية اطلاقا لو خلت من الفكر اللاهوتي وأصبح كل ما فيها هو خطوط وألوان جميلة لا يستنبط منها العابد معنى، أو يقرأ فيها فكرا لاهوتيا واضحا.

وكما أن حشو الكتاب بلغو كثير لا لزوم له يقلل من قيمته، اذ تضيع الأفكار الهامة فيه وسط حشو لا يضيف معان جديدة، هكذا

الأيقونة لا يصح أن يوضع فيها من خطوط وألوان إلا ما له معنى مفيد.

وكما أن الكتاب تزيد قيمته كلما كان واضحا يفهمه القارئ ويتعلم منه، هكذا تزداد قيمة الأيقونة كلما كان التعبير عن الفكر الذي فيها واضحا. إلا أن هذا لا يمنع احتياج الإنسان أن يتعلم لغة ما ليفهم الكتب المكتوبة بهذه اللغة. وهكذا أيضا يحتاج الإنسان أن يتعلم لغة الأيقونة ليعرف كيف يقرؤها. وإن حاول الإنسان أن ينطق كلمات لغة لا يفهمها فإنه قد ينتج أصواتا لا معنى لها اطلاقا في لغته، وقد ينتج أصواتا لها في لغته معنى يختلف تماما عن المعنى الذي تحمله اللغة التي يحاول قراءتها، فالأيقونة كذلك فيها رموز لا بد من تعلمها ليمكن ادراك معانيها.

لهذا السبب يقال أن الفنان «يكتب» الأيقونة أفضل من أن يقال أنه يرسمها.

من الذي يكتب الأيقونة؟

إن كان الأمر كذلك، فالذي يكتب الأيقونة لا بد له أن يكون كمن يكتب كتابا. وكما أن من يكتب كتابا في الكنيسة لا بد أن يكون إنسانا كنسيا روحيا ولاهوتيا يعلم عن الموضوع الذي يكتب فيه إلى جانب مقدرته على استخدام اللغة استخداما سليما لينقل للقارئ الفكر الذي يرغب في توصيله اليه، هكذا كاتب الأيقونة يتحتم أن يكون

عضوا حيا في الكنيسة، له حياته الروحية القويمة، يعرف عن اللاهوت وعن الموضوع الذي يكتب عنه ما يؤهله لأن يقدم للعابد في الكنيسة موضوعا في الأيقونة يساعده ليعلم ويفهم ويشترك في حياة الكنيسة المقدسة، إلى جانب كونه فنانا يعرف كيف يستخدم ملكته ليحقق هذا الغرض. وهكذا تؤهَّل الأيقونة التي يكتبها لأن تُستَخْدَم في العبادة الليتورجية في الكنيسة.

لهذا السبب فكثير من كاتبي الأيقونات في كثير من العصور كانوا من بين الرهبان.

قواعد عامة في رسم الأيقونات:

١- الأيقونة تضم العابد لموضوعها، فيشعر أنه جزء منها، لأنه في الحقيقة مدعو لأن يشترك في الحياة السماوية التي تمثلها الأيقونة. ولتحقيق هذا الغرض يستخدم الفنان عدة مبادئ، منها مثلا المنظور المعكوس حيث لا تتلاقى الخطوط المتوازية في الأفق، بل على العكس تتباعد لتضم العابد للأيقونة. ومنها أن يصور جميع القديسين في الأيقونة مواجهين للعابد وناظرين إليه، فلا يرسم القديس مطلقا من ظهره ولا حتى في صورة جانبية (Profile) بل دائما في مواجهة العابد كدليل على حضوره الدائم معه.

٢- حول رأس القديس هالة هي اشعاع من النور نابع من داخله تعبر عن القداسة التي وصل اليها بجهاده المسنود بنعمة الله، فالقداسة ليست عطية الهية لا دخل لجهاد الإنسان في اقتنائها كما يقول أوغسطينوس، بل هي نعمة يعطيها الله للإنسان الذي يجاهد من أجلها، لهذا فالأيقونة الأرثوذكسية لا تصوِّر الهالة كطبق طائر نازل من السماء على رأس القديس كما تظهر في الصور الكاثوليكية التي تعبر عن فكر أوغسطينوس، بل هي اشعاع منبعث من وجه القديس الذي أخضع نفسه لعمل الروح القدس بجهاده ضد الخطية والشر، فصار مسكنا للروح القدس الذي غير طبيعته الأرضية إلى طبيعة سماوية يصير بها القديس شبيها بالمسيح الهنا، يشع منه نور المسيح، وهكذا تصير الهالة المحيطة بوجه القديس تعبيرا عن قول القديس بولس الرسول «ونحن جميعا ناظرين مجد الرب بوجه مكشوف كما في مرآة نتغير إلى تلك الصورة (الأيقونة) عينها من مجد إلى مجد كما من الرب الروح» (٢كو٣:١٨). وأيضا تعبيرا عن قوله «لأن الله الذي قال أن يشرق نور من ظلمة هو الذي أشرق في قلوبنا لإنارة معرفة مجد الله في وجه يسوع المسيح» (٢كو٤:٦).

وتتأكد نفس هذه الفكرة عند الفنان أثناء كتابته للأيقونة إذ أنه، عكس ما هو متَّبع في الرسم العادي، يبدأ أولا بوضع الألوان

الغامقه ثم يضع فوقها طبقات من الألوان الفاتحة لينير الأيقونة، وكأنه يأخذ الطبيعة الساقطة المظلمة ويجملها بالنور الذي أشرق عليها منذ تجسد المسيح الهنا (نور العالم) ليفتديها.

كذلك فإن المسيح (أو القديس الذي هو صورة المسيح) في الأيقونة هو مصدر النور، وليس هناك مصدر آخر للنور في الأيقونة، فالمسيح قال «أنا هو نور العالم» (يو٨:١٢و٩:٥)، وقال أيضا «أنتم نور العالم» (مت٥:١٤).

٣- الأيقونة دائما تمثل القديس وهو في حالة النصرة والفرح السماوي وليس في حالة الضعف والألم. فالقديس جاهد وانتصر وتحقق فيه قول معلمنا بولس الرسول «لأن خفة ضيقتنا الوقتية تنشئ لنا أكثر فأكثر ثقل مجد أبديا» (٢كو٤:١٧). هو الآن في حالة المجد السماوي. والأيقونة لا تصوره إلا في هذه الحالة المجيدة.

لذلك فخلفية الأيقونة دائما من الذهب الذي يرمز لمجد السماء الكائن فيه القديس. والقديس قد تخلص بنعمة المسيح من ضيقات وأتعاب هذا العالم، فلا يعلو وجهه مظاهر الألم بل الراحة، ولا تبدو في ملامحه علامات الحزن بل الفرح، فالأيقونة تؤكد قول ربنا يسوع المسيح عن قديسيه «طوبى للحزانى لأنهم يتعزون... طوبى للمطرودين من أجل البر لأن لهم ملكوت السموات... طوبى لكم

إذا عيروكم وطردوكم وقالوا عليكم كل كلمة شريرة من أجلي كاذبين، افرحوا وتهللوا لأن أجركم عظيم في السموات...» (مت٥:٣-١٢).

وقد تأكد هذا الأمر في قول القديس أثناسيوس الرسولي عن القديس أنطونيوس في سيرة حياته «إلا أن الرب لم ينس أعمال أنطونيوس البطولية فأسرع لنجدته. فرفع أنطونيوس ناظريه الى فوق فرأى أن السقف ينفتح شيئا فشيئا وأن النور أخذ ينزل عليه. فجأة اختفى الشيطان وتوقف للحين ألم جسده. وحينما أدرك أن المساعدة الهية تنفس الصعداء وتوجه إلى الرؤية الإلهية، بعدما ارتاح من الآلام، قائلا: أين كنت يا إلهي؟ لِم لَم تنظر من البداية كيما تريحني من العذاب؟ فسمع صوتا يقول له: لقد كنتُ هنا يا أنطونيوس لكني كنت أنتظر ما ستحققه. ولأنك احتملت ولم تهزم، فسأكون عونا لك أبدا، وأجعل اسمك معروفا في كل مكان». (سيرة القديس أنطونيوس الكبير ١٠)

هنا نرى القديس بعد جهاد مضني وتعب كثير تعزيه النعمة الإلهية وتفرحه بمثل هذه الرؤية. والأيقونة تختار دائما أن تظهر القديس في حالة الفرح والعزاء وليس في حالة التعب والألم، ليس فقط لأنه قد انتهى من أتعابه وهو الآن في حالة المجد، ولكن أيضا لتشجعنا نحن المجاهدين حتى إذ نرى التعزية الإلهية في حياة أولاد

الله نتشجع ونجاهد أكثر وأكثر.

أيقونة القديس العظيم

الأنبا أنطونيوس

من أهم المصادر التي عندنا عن القديس الأنبا أنطونيوس سيرة حياته التي كتبها القديس العظيم الأنبا أثناسيوس الرسولي البطريرك السكندري العشرون *"The Life of Saint Antony"* or *"Vita Antoni"* ويمكننا أن نرى في هذه السيرة أيقونة ترسم أمامنا شكل هذا القديس تماما كما يمكننا أن نرى في أيقونته الأرثوذكسية سيرة حياته مكتوبة بالألوان والخطوط.

في الأيقونة موضع الدراسة يحتل القديس الأنبا أنطونيوس مركز الأيقونة تماما كما أن سيرته هي المركز الذي كتب حوله الأنبا أثناسيوس هذه الكتاب. هالة النور تحيط برأسه كتعبير عن النور النابع منه. ويظهر وجهه مملوء بالمجد والسلام والوداعة والجمال الروحي الذي يختلف تماما عن الجمال المادي.

عيناه الواسعتان تعبران عن نظرته الروحية الواضحة التي جعلته يرى ما لا يراه كثير من البشر، فقد سبق فرأى ما يؤدي اليه الباب الضيق الذي دخل منه والطريق الكرب الذي سلكه (طريق الزهد

والنسك)، رأى الحياة الأبدية في نهاية هذا الطريق، فسلكه بلا تراخ أو كسل.

في عينيه تبدو نظرة إلى البعيد، إلى ما وراء هذا العالم، فقد لفت نظره أمر شدَّ انتباهه لدرجة جعلته يحتقر ملذات هذا العالم ومباهجه، فهو في زهده ليس محروما من أمور كان يشتهيها، بل هو مشغول بأمر أكثر جاذبية وأكثر قيمة. فزهد العالم في المفهوم المسيحي ليس حرمانا بل هو امتلاء من الله القادر وحده أن يملأ الإنسان ويشبعه. العالم لا يقدر أن يشبع الإنسان لأن «كل من يشرب من هذا الماء يعطش أيضا» (يو٤:١٣). أما الأنبا أنطونيوس فقد وجد ينبوع الماء الحي ليشرب منه ولم يكن بحاجة بعد لأن يسعى وراء ما في العالم. هنا تقول لنا الأيقونة نفس ما قاله الأنبا أنطونيوس وسجله لنا الأنبا أثناسيوس «يجب أن لا يلتفت أي منا إلى الأمور التي خلفه كإمرأة لوط، سيما وقد قال الرب «ليس أحد يضع يده على المحراث وينظر إلى الوراء يصلح لملكوت الله» (لو٩:٦٢). وهذا الالتفات إلى الوراء ليس إلا الشعور بالندم والتفكير في العالم مرة أخرى» (حياة٢٠)، وأيضا «أما وعد الحياة الأبدية فيشترى بأمر زهيد جدا» (حياة ١٦).

البهاء يعلو وجهه في الأيقونة ليؤكد نفس ما قاله الأنبا أثناسيوس عنه «كانت طلعته تنم عن نعمة عظيمة وعجيبة. وهذه النعمة أعطيت إليه أيضا من المخلص، لأنه كان إذا ما وُجد وسط

جماعة كبيرة من الرهبان، وأراد أحد أن يراه ممن لم يعرفوه سابقا، كان في الحال إذا ما مر بينهم يسرع إلى أنطونيوس كأنه قد انجذب بطلعته. ومع أنه لم يتميز عن الباقين في الطول أو العرض إلا أنه تميز عنهم في رصانة الأخلاق وطهارة النفس، لأنه إذ خلت نفسه من كل شائبة صارت هيئته الخارجية هادئة وهكذا بسبب فرح نفسه حصل على طلعة بهجة. وكانت حركات جسده تعكس حالته الروحية كما هو مكتوب «القلب الفرحان يجعل الوجه طلقا» (أمثال١٥:١٣)» (حياة ٦٧).

لحيته الطويلة البيضاء تضفي عليه هيبة الشيوخ، وهي هنا لا تعبر عن عدد السنين والأيام التي عاشها بقدر ما تعبر عن حكمته التي لا تتوفر إلا للشيوخ والتي ظهرت في اختياره لحياة الرهبنة التي عاشها كما ظهرت في تعاليمه وأقواله وفي انتصاراته على حروب وخداعات الشيطان وفي مثابرته بصبر في جهاده. لهذا يلقَّب الرهبان المختبرون الحكماء بالشيوخ بغض النظر عن عدد سنوات حياتهم.

تغطي رأسه القلنسوة التي اعتاد الناس أن يغطوا بها رؤوس الأطفال، فقد رجع وصار مثل الأطفال من أجل أن يضمن دخول ملكوت السموات كما قال ربنا يسوع المسيح (مت١٨:٣).

جسده ليس ممتلئا بزيادة، علامة حياة التقشف التي عاشها، لكنه أيضا ليس نحيفا بزيادة كدليل على أن النسك في المفهوم

الأرثوذكسي ليس هو تحطيم الجسد واضراره، لكنه فقط ضبط الشهوات وتوجيهها. هذا تماما هو ما تصفه السيرة إذ يقول عنه الأنبا أثناسيوس واصفا إياه عند خروجه بعد توحده لمدة عشرين سنة «رأوا جسده غير متغير أي أنه لم يسمن ولا نحيفا هزيل الجسم بسبب كثرة الأصوام وصراعه مع الشيطان» (حياة١٤).

يلبس الإسكيم (ضفيرة من الجلد على شكل صليب يحيط بصدره وظهره) علامة على رتبته العالية في الحياة الرهبانية. ويتكئ على عكاز على شكل صليب (T) فالصليب منذ أن علق عليه ربنا يسوع المسيح صار السند الذي يحمي القديسين في حربهم الروحية ضد الشرير وضد شرور العالم.

يمسك في يده درجا (مخطوطا) مكتوبا عليه «إن أردت أن تكون كاملا فاذهب وبع أملاكك وأعط الفقراء فيكون لك كنز في السماء وتعال اتبعني» (مت١٩: ٢١)، وهو النص الذي لما قاله ربنا يسوع المسيح للشاب الغني الذي جاء يسأله «ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية» مضى الشاب حزينا لأنه كان ذا أموال كثيرة. وهو نفس النص الذي قاد الأنبا أنطونيوس لحياة النسك والرهبنة لما سمعه يقرأ في كنيسة قريته فنفذه بلا تردد. هذا الدرج أطول بكثير من النص المكتوب، وكأن الأيقونة تقول لنا أن بيع الأموال وإعطاءها للفقراء هي خطوة في طريق طويل من الجهاد لأجل الملكوت. هذا الطريق ينكشف

تدريجيا، كلما انتهى الانسان من مرحلة تنكشف له الأخرى، فيبقى مجاهدا كل أيامه، والذي يصبر الى المنتهى يخلص كما فعل الأنبا أنطونيوس. لم يكن بيعُ الأموال وإعطاؤها للفقراء هو كل ما فعله القديس، بل كان خطوة في الطريق الذي استمر فيه كل أيام حياته.

يده اليمنى مطوية بحيث يلمس طرف ابهامها طرف البنصر، وهكذا يشير الى الرقم عشرة (ثلاثة عقلات لكل من الأصابع الثلاثة البنصر والوسطى والسبابة يضاف اليهم العقلة الأولى من الابهام) وهو رقم الحرف الأول من اسم السيد المسيح في اليونانية والقبطية (I). وهو الاسم المبارك الذي كان معينا للأنبا أنطونيوس في جهاده دائما. وكأنه يؤكد لكل من يقف أمام الأيقونة ما اختبره في حياته أن «اسم الرب برج حصين يركض اليه الصديق ويتمنع» (أمثال ١٨: ١٠).

البرية التي عاش فيها تمتد من خلفه في الأيقونة. وكأن الأيقونة تقول لنا إن البرية لم تكن هدفا في ذاتها، انما كانت وسيلة أوصلته لحياة أفضل ليست في هذا الزمان، هذه الحياة الأفضل ترمز لها الخلفية الذهبية المحيطة بالقديس.

في الركن الأيسر السفلي تظهر زيارته للقديس الأنبا بولا أول السواح. الأنبا بولا ينحني انحناءة بسيطة في وضع يطلب فيه أن يتبارك من الأنبا أنطونيوس، بينما يميل الأنبا أنطونيوس قليلا الى الخلف رافعا يده اليمنى في وضع يعبر فيه عن عدم استحقاقه أن يبارك الأنبا بولا،

إنما على العكس يقول أنه هو المحتاج أن يتبارك منه. هذا هو الأسلوب الذي حيا به أحدهما الآخر.

هذه الزيارة تؤكد أن الأنبا أنطونيوس، مع أنه راهب قد كرّس حياته للنسك والزهد والعبادة في البرية، لم يكن انطوائيا لا يعبأ بإخوته البشر، كما أنه لم يشعر مطلقا أنه في عدم احتياج لأن يتعلم وينتفع ويتبارك ممن هم أكثر منه قداسة.

في الجانب الآخر من الأنبا أنطونيوس يظهر غراب آت اليهما حاملا رغيفا كاملا من الخبز. هذا الغراب الذي كان يحمل نصف رغيف يوميا ليقوت به الأنبا بولا، اذ به يحمل اليوم رغيفا كاملا ليكفي كليهما. كما تظهر ثلاث نخلات تطرح سنويا بلحا يكفي لاحتياج الأنبا بولا، وعين ماء تنبع في البرية لترويه.

ثم يظهر في الأيقونة أيضا أسدان، لهذين الأسدين قصة، في الزيارة الثانية التي قام بها الأنبا أنطونيوس وجد الأنبا بولا قد انتقل من هذا العالم وتنيح، وبينما هو متحير في كيف يحفر مقبرة ليدفن فيها جسد الأنبا بولا، اذ بأسدين يظهران ويحفران بمخالبهما حفرة وينتظران حتى يضع الأنبا أنطونيوس الجسد في الحفرة فيطمرانها ثانية ويمضيان.

وهكذا تعلمنا الأيقونة دروسا كثيرة، فالغراب تغيرت طبيعته من خطف الطعام من البشر، وأصبح يخدمهم ويحضر اليهم الطعام.

والأسدان تغيرت طبيعتهما من افتراس البشر، الأحياء والأموات، وأصبحا يساعدان الأحياء (الأنبا أنطونيوس) بحفر مقبرة لدفن الأموات (الأنبا بولا). والبرية التي لا تعطي البشر عادة الا السراب والجوع والعطش والموت، تغيرت وصارت تقدم لهم ينبوع ماء ونخيل. كل هذه الأمور تعني أن العلاقة بين الإنسان والخليقة قد تغيرت، وما نسميه أمورا طبيعية قد حدث عكسها. حقيقة الأمر أن الخليقة كانت في أولها (قبل سقوط آدم بأكله من الشجرة الممنوعة) في خضوع للإنسان كسيد عليها لأنها كانت ترى فيه صورة الله الخالق. ثم تمردت عليه لما تشوهت فيه هذه الصورة بأكله من الشجرة وإشباعه شهواته، فصارت الغربان تخطف طعامه، والبرية لا تعتني باحتياجاته والأسود تفترسه. ولكن لما استعاد الإنسان لنفسه صورة الله بحياة القداسة التي عاشها، وبنسكه وزهده (وعدم أكله) ارتدت الطبيعة لحالها الأول وعادت من جديد تخدم الإنسان وتخضع له. هذا هو ما رأته الخليقة في الأنبا أنطونيوس والأنبا بولا، وهذا هو ما قدمه لهما الغراب والبرية والنخيل وعين الماء والأسود.

الثلاث نخلات تجذب أنظارنا الى الثالوث القدوس مصدر حياتنا، حياتنا منه، وهو الذي يضمن لنا استمرار هذه الحياة، ويقوتها. في هذا قال ربنا يسوع المسيح «ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان بل بكل كلمة تخرج من فم الله» (مت٤:٤)، وهذه هي خبرة

النساك في حياتهم.

كل هذا نراه تحقيقا لكلام ربنا يسوع المسيح الذي قال يوما «لا تهتموا لحياتكم بما تأكلون وبما تشربون. ولا لأجسادكم بما تلبسون. أليست الحياة أفضل من الطعام والجسد أفضل من اللباس. انظروا إلى طيور السماء. إنها لا تزرع ولا تحصد ولا تجمع إلى مخازن. وأبوكم السماوي يقوتها. ألستم أنتم بالحري أفضل منها... ولماذا تهتمون باللباس. تأملوا زنابق الحقل كيف تنمو. لا تتعب ولا تغزل. ولكن أقول لكم إنه ولا سليمان في كل مجده كان يلبس كواحدة منها. فإن كان عشب الحقل الذي يوجد اليوم ويطرح غدا في التنور يلبسه الله هكذا أفليس بالحري جدا يلبسكم أنتم يا قليلي الإيمان. فلا تهتموا قائلين ماذا نأكل أو ماذا نشرب أو ماذا نلبس. فإن هذه كلها تطلبها الأمم. لأن أباكم السماوي يعلم أنكم تحتاجون إلى هذه كلها. لكن اطلبوا أولا ملكوت الله وبره وهذه كلها تزاد لكم» (مت٦: ٢٥-٣٣).

هكذا نتعلم أن الخليقة كلها ستخدم الإنسان، ليس فقط بتوفير احتاجاته المادية، بل أيضا بأن تذكّره بسيادته على الطبيعة، تلك السيادة التي فقدها عندما فضّل اتباع شهوته، والتي يمكنه أن يسترجعها وذلك بأن يعود مرة أخرى لضبط شهوته من خلال حياة النسك كما فعل القديس الأنبا أنطونيوس.

في الأيقونة يظهر القديس الأنبا أنطونيوس مرتين، والقديس الأنبا بولا مرة واحدة مواجهين دائما لنا، يدعواننا لأن نتبع خطاهما، ويؤكدان لنا أنهما بنظرهما الينا يشفعان فينا دائما ويحرساننا بصلواتهما.

في الأيقونة يظهر كهف هو مكان سكنى الأنبا أنطونيوس، لكن الكهف هنا يخدم غرضا آخر، فهو يعطي سندا إنجيليا لمبدأ الرهبنة التي عاشها القديس أنطونيوس متوحدا في البرية ساكنا في مغارة، إذ يذكرنا بقول القديس بولس الرسول «وهم لم يكن العالم مستحقا لهم. تائهين في براري وجبال ومغاير وشقوق الأرض» (عب١١: ٣٨).

ولأن الأيقونة تتكلم عن القديس في حال مجده السماوي، فهي تتكلم عنه خارج الزمن الذي يقيد حياتنا، لذلك فالأيقونة لا تتقيد بالزمن، فيها أحداث من كل الزمان قد اجتمعت بلا قيود وبلا ترتيب. حياة الأنبا أنطونيوس بدأت بسماع قول الأنجيل في كنيسة قريته وإطاعته، ثم خروجه من قريته للبرية، وزيارته للأنبا بولا ولقائهما، ثم زيارته الثانية ودفنه، وحتى نهاية حياته بالجسد على الأرض ودخوله المجد السماوي، كلها موجودة أمامنا في الأيقونة. فهي لا تمثل وقتا محددا بالذات، لكنها تخرج من قيود الزمن لتدعونا نحن أيضا أن نفعل هذا ولا نتقيد بالعالم الحاضر.

هذه هي الدروس النافعة الكثيرة التي نقرؤها ونتعلمها من هذه

the beginning, before man lost his lordship over Nature. With Adam's revolt from God came Nature's revolt from Adam, for it could no longer recognize the image of God within him. When man ate from the tree to fulfill his carnal desire, the raven would snatch his food, the desert would not attend to his needs, and the lions would devour him. When man truly follows the Second Adam and fasts from his carnal desire by leading a holy ascetical life, then all of creation can return to its original state and start again to serve him and submit to him, even as man submits to and serves the Lord.

In the language of iconology, the icon of Saint Anthony the Great speaks volumes about the restoration of the image of God that enables us once again to become sons of God. Saint Anthony shows us the Orthodox way of sanctification which is so different from the Augustinian tradition. All the lessons we discover in this marvelous icon challenge us to join Saint Anthony and Saint Paul, to sell all, and to come, follow Christ up towards that gilded horizon of glory across the wilderness of ascetic denial.

May the blessings of Saint Anthony's prayers be with us all. Amen.

الأيقونة الرائعة عن هذا القديس المجيد والعظيم في القديسين، بركة صلواته تكون معنا جميعا آمين.

the icon. It abounds with richness of imagery and detail and teaches so many profound truths.

Saint Paul, himself the first hermit, had been made known to Saint Anthony by the Holy Spirit. After a long search in the desert, Saint Anthony finally found him, by the grace of God. We see Saint Paul bowing slightly, asking Saint Anthony to bless him. Saint Anthony, reclining slightly to the back, is raising his hand in a gesture that protests he is not worthy to bless him. To the contrary, his gesture implores, it is he who must be blessed by Saint Paul.

Fraternal charity is as much a part of the eremitical[3] life as ascetical striving is, for after all, Saint John the Theologian himself teaches us, *"If a man say, I love God, and hateth his brother, he is a liar: for he that loveth not his brother whom he hath seen, how can he love God Whom he hath not seen?"* (I Jn. 4:20). Saint Anthony's spirituality was not a self-centered and self-absorbed exercise of self-glorification. He truly cared for his fellow humans and did not feel he had no need to learn or benefit from or be blessed by others who possessed greater holiness than his own.

Across from this scene on the other side of the icon, we see a raven descending with a full loaf of bread in his beak for the two Saints to share. Previously, this raven was wont to bring Saint Paul a half loaf for his daily needs, but now as a sign of God's favor upon their meeting and as continuing proof of His providential mercy, the bird is showing up with a full loaf. The icon also shows us the three palm trees (a symbol of the Trinity) which provided fruit in due season sufficient to Saint Paul's needs and the spring of water which had sprung up in the desert for Saint Paul's benefit.

Again, how rich the symbolism and how many the lessons this icon gives us! The raven, a scavenger noted for stealing food, now obediently serves man. The desert, usually a place hostile to human life, now springs forth with sustenance and makes welcome her

[3] eremitical = concerning the solitary life.

spiritual sojourners. In simple figures, the icon illustrates the highest truths our Lord Jesus Christ taught us: *"Therefore I say unto you, take no thought for your life, what ye shall eat or what ye shall drink; nor yet for your body, what ye shall put on. Is not life more than meat and the body more than raiment? Behold the fowls of the air, for they do not sow, neither do they reap nor gather into barns; yet your heavenly Father feedeth them. Are ye not much better than they? Which of you by taking thought can add one cubit to his stature? And why take ye thought for raiment? Consider the lilies of the field, how they grow; they toil not, neither do they spin: And yet I say unto you that even Solomon in all his glory was not arrayed like one of these. Wherefore, if God so clothe the grass of the field, which today is and tomorrow is cast into the oven, shall he not much more clothe you, O ye of little faith? Therefore take no thought, saying, What shall we eat? or, What shall we drink? or, Wherewithal shall we be clothed? For after all these things do the Gentiles seek: for your heavenly Father knoweth that ye have need of all these things. But seek ye first the kingdom of God, and His righteousness; and all these things shall be added unto you."* (Mt. 6: 25-33).

By the way, we ought not to fail to mention the figures of the two lions, for they, like the raven, represent the transformation of Nature's relationship to man with the restoration of God's image within him. In Saint Anthony's second journey to visit Saint Paul, he discovered that the latter had reposed from this world. Considering how he was to bury Saint Paul's body, he was approached by these two lions who dug the grave for him. They waited patiently while Saint Anthony carefully laid the body to rest and then covered it and left.

In the wilderness which yields water and food, the raven which brings food to the hungry, and the lions which help to bury the dead, we find echoes of the lost Garden as well as foretastes of the kingdom of heaven. As mentioned above, these figures indicate a change in the usual relationship between man and the rest of creation, an actual restoration of the relationship which obtained at

Saint Athanasius demonstrates the same lesson in his verbal icon of the Saint's life, *"And when they beheld him, they were amazed to see that his body had maintained its former condition, neither fat from lack of exercise nor emaciated from fasting and combat with demons."* (Life,14).

Even the gesture of his hand contains a message for us. We notice that he holds his right hand so that the tip of his thumb touches the tip of his ring finger. Cryptically this gesture signifies the number ten (that is, by adding the three joints each of the ring, middle, and index fingers to one joint of the thumb). Both the Greek and Coptic alphabets can also be used as numerals, and it just so happens that in each ten is represented by the letter "I" ("J" in English). This, of course, is the first letter of the Holy Name of our Lord Jesus Christ. Here the icon is showing us what Saint Anthony had discovered in his life, that *"The name of the Lord is a strong tower: the righteous runneth to it and is safe."* (Prv. 18:10).

The Saint's clothing and personal effects carry lessons for us too. Note how a bonnet covers his head. Now bonnets are usually used to cover the heads of little children. This signifies that even as an old man, he had continued to fulfill our Lord Jesus Christ's injunction and had become as a child so as to be worthy to enter the kingdom of heaven (cf. Mt. 18:3). Notice, too, the skema that girdles his body. A skema is a leather girdle that forms a cross on both the front and back of the torso and indicates high monastic rank. Also observe the famous Tau cross, which is shaped like a capital "T", with which he supports himself. We are instructed by this that only the support of the cross, upon which our Lord Jesus Christ was crucified to effect our salvation, can sustain us in our spiritual warfare against the evil one and the seductions of this world.

Saint Anthony also holds a long scroll in his hand. On this scroll is written the legend, *"If you want to be perfect, go, sell what you have and give to the poor, and you will have treasure in heaven; and come, follow Me."* (Mt. 19:21). You may remember that these

were the words our Lord Jesus Christ spoke in response to a rich young lawyer's rather haughty question about *"What shall I do to inherit eternal life?"* You may also remember that our Lord's response made the young man go away sorrowing, because he would not relinquish his many expensive possessions. Well, these very words so inspired Saint Anthony when he heard them read in his village's church that he unhesitatingly fulfilled our Lord's command with joy and began at the tender age of nineteen his long monastic career.

Just as Saint Anthony's career was long, so is the scroll he holds in his hand. This signifies to us that the decision to renounce the things of this world in order to follow our Lord Jesus Christ is only the beginning of a very long road. This road only reveals itself gradually. When a person fulfills a step, the next one is revealed to him. We learn from this that we are called to struggle all the days of our lives. Only he who endures to the end will be saved, as Saint Anthony's life so eloquently attests.

Behind the Saint, we see the wilderness extending back into the distance to meet a gilded sky which surrounds the Saint with glorious joy. In this wilderness we see the cave, in which Saint Anthony battled so long and so bravely the forces of evil. Here too we find lessons for our instruction. The wilderness, as with renouncing the world to follow our Lord, is not an end in itself. It leads us, rather, to that golden horizon where all our sorrow is turned to joy. The Saint's cave also points beyond itself to something higher. It serves to remind us of what Saint Paul said about saints, *"Of whom the world was not worthy: they wandered in deserts, and in mountains, and in dens and caves of the earth."* (Heb. 11:38).

This wonderful "book" is full of such lessons and stories, suspended, as it were, and frozen upon a two-dimensional surface beyond the boundaries of time. Take, for example, the vignette of Saint Anthony visiting Saint Paul, found in the lower left corner of

The Icon of
Saint Anthony the Great

As described above, we can draw an analogy between the book, *The Life of Anthony*, written by Saint Athanasius, the twentieth Patriarch of Alexandria, and the icon of Saint Anthony found in our parish Church. The book presents us an icon written with words, just as the icon tells us a story depicted in lines and colors. In both, the Saint fills the center of the whole with meekness, peace, joy, glory and spiritual beauty so different from the physical.

This spiritual beauty draws us to look into the Saint's eyes as we stand before the icon. Their wide-orbed gaze penetrates beyond the vision of what worldlings can see. Foresight of the end to which "the narrow gate" (that is, the life of asceticism) leads him, the "difficult path" of monasticism draws him fills those beautiful eyes with the certitude of heavenly bliss awaiting him in the kingdom of heaven. For such a vision he was able to endure all with perseverence and without laziness.

The vision these eyes perceived brought him to despise the pleasures of this world. This does not imply that he in any way "deprived" himself. No, rather, his desires themselves were turned to one point, to God Who alone can fill and satisfy the human heart. In this alone do we properly understand Christian asceticism. This world can never satisfy man, because *"Whoever drinks of this water will thirst again"* (Jn. 4:13). As for Saint Anthony, his vision had shown him the Fountain of Living Water Himself, so he had no need to seek to quench his thirst in this world. Here the icon and Saint Athanasius agree when he reports in his Life Saint Anthony saying, *"And let none turn back as Lot's wife did, especially since the Lord said, 'No one who puts his hand to the plow and turns back is fit for the kingdom of heaven.' Now 'turning back' is nothing except feeling regret and once more thinking about things*

in the world." (Life,20). And also, *"But the promise of eternal life is purchased for very little."* (Life, 16).

Indeed, we are not alone in our attraction to the spiritual beauty we see in the Saint's eyes, for just as with this icon, Saint Athanasius tells us his face was full of glory: *"His face had a great and marvelous grace, and this favor he had from the Savior, for if he was present with a great number of monks, and someone who had not formerly met him wished to see him, immediately on arriving, he would pass by the others and run to him, as though drawn by his eyes. It was not his physical dimensions that distinguished him from the rest, but the stability of character and the purity of the soul. His soul being free of confusion, he held his outer senses also undisturbed, so that from the soul's joy, his face was cheerful as well, and from the movements of the body, it was possible to sense and perceive the stable condition of the soul, as it is written, 'When the heart rejoices, the countenance is cheerful; but when it is in sorrow, the countenance is sad.' (Prov. 15:13)."* (Life,67).

But the icon reveals even more spiritual qualities of the Saint in its inimitable language of symbol and gesture. His white beard, for example, shows us more than his years, although Saint Anthony did indeed live to a ripe old age. It stands instead to remind us of his dignity as an elder, or, better, the wisdom of an elder that he possessed even in his relative youth. Just to choose to follow the monastic life was borne of this wisdom, not to mention his triumphs over the wars and deceptions of Satan, his patient perseverence through all his struggles, or his profound doctrine and insightful spiritual counsel. In fact, to this day those monks who display such wisdom are called elders no matter what their age.

The icon teaches us even more about not only Saint Anthony but the Christian ascetic life itself in the way it presents the image of the Saint. We notice that although he is shown to be thin from his ascetic struggles, he is not excessively so. In this we are taught that Orthodoxy conceives the purpose of asceticism as not to destroy or harm the body but only to control the passions and to redirect them.

To parallel and sacramentally to reenact this mystery, the iconographer, contrary to common practice in painting, starts by putting down the dark colors first and then continues putting more and more light into the icon by adding increasingly lighter colors. In this manner, he follows the same order of "enlightenment" which proceeds upon our fallen nature which is in darkness until the light of Christ, Who is *"the Light of the world"* (Jn 8:12 & 9:5), shines upon it and saves it. In no other way could the words of Christ also be true when He said of His saints (icons), *"You are the light of the world"* (Mt. 5:14).

Because the icon portrays the holy one in a state in which the Light of Christ is fully evident in him, it must depict him as victorious and joyful, never as weak or full of pain. After all, the saint has already completed his struggle and has attained victory and fulfilled the words of Saint Paul, *"For our light affliction, which is but for a moment, is working for us a far more exceeding and eternal weight of glory"* (2 Cor. 4:17).

Because the saint is now in the state of glorification, the background behind him must always be gilded[2]. Gold always symbolizes heavenly glory. But more to the point, the gilding and facial expressions of rest and joy both serve to prove what our Lord Jesus Christ said about saints, *"Blessed are those who mourn: for they shall be comforted. . . Blessed are those who are persecuted for righteousness' sake: for theirs is the kingdom of heaven. . . Blessed are ye when they revile and persecute you and say all kinds of evil against you falsely for My sake. Rejoice and be exceedingly glad: for great is your reward in heaven"* (Mt. 5:3-12).

In his *Life of Anthony*, Saint Athanasius the Apostolic illustrates the Lord's teaching in this regard with concrete details drawn from the Saint's life: *"The Lord did not forget the wrestling of Anthony but came to his aid, for when he looked up he saw the roof being opened, as it seemed, and a certain beam of light descending toward him. Suddenly the demons vanished from view, the pain of his body ceased instantly, and the building was once more intact. Aware of the assistance and both breathing more easily and relieved from the sufferings, Anthony entreated the vision that appeared, saying, 'Where were you? Why didn't you appear in the beginning so that you could stop my distresses?' And a voice came to him, 'I was here, but I waited to watch your struggle. And now, since you persevered and were not defeated, I will be your helper forever and I will make you famous everywhere.' "* (Life,10).

As the Lord comforts those who have struggled hard for His glory, so does He glorify those who have completed their struggles. But it is not just to depict the saint in his glorification that the icon thus portrays him, but also to encourage us, the strugglers. When we see the Divine comfort given to the children of God, we are thereby heartened to persevere in our own struggles for the Lord.

[2] gilded = covered with gold.

Or even worse, if he lacks a clearly defined subject or has chosen one empty of meaningful content, he will be wasting his reader's time in a pursuit of pretty words without purpose. All of these criteria equally apply to the iconographer in the writing of an icon. An icon must have theological content and be able to convey this content to the worshipper simply and clearly without unnecessary lines or colors and for no other purpose than to lead the observer to a deeper understanding of the Church's teaching.

Those Who May Write Icons

Because the icon is an ecclesiastical medium, the icon-writer, like other ecclesiastical writers, must be an active member of the Church, live a spiritual life, be theologically knowledgeable, and be well-versed in the topic in hand. He must also be skilled in the proper use of language so information is capably communicated to the reader without confusion. These qualifications are paramountly necessary in the case of the iconographer, because it is critical that the icon be able to help the worshipper to know, understand and participate in the holy life of the Church. Of course, it is also necessary, although it is of secondary importance, that the iconographer be a skilled artist. All of these conditions are required for the icon to be worthy of use in the liturgical worship of the Church. It is not surprising, therefore, that through the ages monks have traditionally filled the role of icon-writer.

General Rules for Writing Icons

1. First of all, the icon must include the worshipper in its subject. This is to say that the worshipper must be drawn into the icon itself and be made a part of it. To do this, the iconographer reverses perspective by not allowing parallel lines to meet at the horizon. The holy one depicted in the icon must also always face the worshipper frontally and look directly at him. In this way, the fact that the holy one is ever with us is emphasized.

2. Indeed, the way in which the very holiness of the holy one is depicted is not without theological ignificance. As in other sacred art, a halo is employed, but that is where the similarity ends. In Orthodox iconography, the halo is an expression of light radiating from within the saint, evidence of the degree of perfection of his person, and a sign of the holiness he attained by his spiritual striving supported by the grace of God.

   The theological concept implicit in the Orthodox icon is contrary to the Augustinian theology adopted by the Roman Catholic Church. According to Augustine's soterology[1], man is nothing but empty matter waiting to be filled with God's grace. For this reason, Western haloes often appear as though they were flying discs descending upon their subjects from heaven. Contrariwise, Orthodox icons show the halo radiating from within the face of the saint who has submitted himself to the work of the Holy Spirit by struggling against sin and evil in his person. The saint has become a temple of God and the Spirit of God dwells within him bodily. Rather than a passive receptacle, the saint is an active participant in his sanctification.

   Still, it is the Spirit of God Who changes the saint's earthly nature into a heavenly one and thus restores him as an image (that is, icon) of Christ, our God. The light of Christ Himself radiates from him. And thus the halo around the saint's face eloquently expresses what Saint Paul said: *"But we all, with unveiled face, beholding as in a mirror the glory of the Lord, are being transformed into the same image (icon) from glory to glory, just as by the Spirit of the Lord."* (2 Cor. 3:18), and also, *"For it is the God Who commanded light to shine out of darkness Who has shone in our hearts to give the light of the knowledge of the glory of God in the face of Jesus Christ."* (2Cor. 4:6).

[1] soterology = the theology of salvation.

the iconographer "writes". And so this booklet was conceived to use the icon of Saint Anthony the Great as an object lesson for the study of this language. By revealing its spiritual, dogmatic and Biblical messages, I hope, with the help of God's grace, to lead the reader to an understanding of not only this particular icon, but all icons as more than artistic works. They are, rather, ecclesiastical media of instruction and grace that enable the worshipper to worship God in spirit and in truth.

To this end, we ask God through the blessings and intercessions of the Holy Virgin Mary and Saint Anthony the Great, father of all monks, to make this booklet useful to those who read it.

I would like to thank all those who helped me in producing this booklet, whether by collecting reference materials, translating and typing the manuscript, reviewing the text, preparing it for publication, or in any other way. Our Lord Jesus Christ knows them all. May He bless them and reward them with heavenly recompense.

Father Antonious L. Henein
Priest of Holy Virgin Mary Coptic Orthodox Church,
Los Angeles, California
Feast of Pentecost, 1993

Icons: General Principles

Written, Not Painted

Just as letters are combined to form words that work together to express ideas and information in the making of a book, so do lines and colors combine to form images, gestures and symbols that convey theological concepts and spiritual meaning in the making of an icon. For this reason, it is traditional to say that an icon is "written", not "painted". Besides, the rules governing the making of icons are more specifically defined than those of paintings in other traditions. The "grammar" of the icon is in fact so closely controlled as to make iconography more truly a language to be "written" than mere painting would ever entail.

Extending the analogy of making books is indeed useful in understanding the writing of icons. First of all, one needs to understand the language in which an author is writing, or utter confusion ensues when one attempts to read his book. Even if certain words resemble some found in the reader's language, he may completely misunderstand the author's meaning if he applies definitions from his own language to that of the author's. So, in the reading of icons, it is necessary that the reader understand the iconographer's language and not impute meanings drawn from his own experience of art or symbolism to the "text" of the icon.

But let us suppose that the reader is fully informed of the author's language. In this case, the burden is on the author to perform properly in the making of the book. If he is overly repetitive or brings in extraneous details that do not advance his subject, his meaning will be lost on his reader in a welter of needless additions.

Published by:
Holy Virgin Mary
Coptic Orthodox Church

4900 Cleland Avenue, Los Angeles, California 90042 Phone: (213) 258-5555

Introduction

As with all endeavors, there is a story behind this booklet. I was recently contacted by Dr. Vincent L. Wimbush, a professor at Union Theological Seminary of New York City, and asked to provide him an appropriate Coptic icon which would be used as a symbol for an international conference to be hosted by his school April 25-29, 1993. As the conference's subject was to be "The Ascetic Dimension in Religious Life and Culture", I mailed him photocopies of icons depicting various Coptic Orthodox ascetic saints. The icon he chose is also the subject of this booklet, that of Saint Anthony the Great, an icon "written" for our parish, Holy Virgin Mary Coptic Orthodox Church of Los Angeles, by Dr. Isaac Fanous Youssef, professor of Coptic Arts at The Institute of Coptic Studies in Cairo.

Attending the conference myself, I was troubled to discover that many of the participants, all professors of theology from different universities worldwide, did not know how to "read" the icon and thus could not penetrate the teachings and meaning it contains. Some actually so misread it that they derived interpretations which contradicted the icon's true message. Upon returning to Los Angeles, I was further shocked to find that many of my own parishoners could not properly read the icon as well. They were reacting merely to its artistic beauty, whereas those who interact with it in a proper way can derive so much more than just aesthetic pleasure.

I finally concluded that iconology, like all languages, is a learned skill which must be mastered so one can understand the message

"Saint Anthony the Great" egg tempera on gesso
Icon by Dr. Isaac Fanous Youssef
Original at: Holy Virgin Mary Coptic Orthodox Church
Los Angeles, California

Orthodox Studies

Icons - 1

Understanding The Icon of Saint Anthony the Great

Father Antonious L. Henein

"Saint Anthony the Great" egg tempera on gesso
Icon by Dr. Isaac Fanous Youssef
Original at: Holy Virgin Mary Coptic Orthodox Church
Los Angeles, California